الحركة القسّامية
ودلالاتها التاريخية والعقائدية

حسين حجازي

سؤال وحيد، يسعى هذا البحث إلى التوصل لتحديد إجابة عليه؛ ويمكن صياغته مسبقاً على النحو التالي: إذا كان ممكناً إقامة تمايز في الأطار العام لبنية الحركة الوطنية الفلسطينية بشقيها، الحديث والمعاصر، على أساس وجود خطوط ايديولوجية متباينة تميز العلاقة بين أطراف هذه الحركة، فضمن أي من هذه الخطوط يمكن ان نضع حركة القسّام؟ أما السؤال الفرعي الذي ينبثق من السؤال السابق، فيمكن طرحه، أيضاً، على النحو التالي: على أي نحو يمكن ان يتحدد شكل العلاقة القائم بين التيارات الايديولوجية المكوّنة للحركة الوطنية الفلسطينية؟ وما هي الدلالة التاريخية للايديولوجيا التي حاولت أن تطرحها الحركة القسّامية، من خلال شخصية داعيتها ومؤسسها الشيخ عز الدين القسّام، في الاطار العام للايديولوجيا التي تبنتها الحركة الوطنية الفلسطينية؟

هذه هي المفاصل الرئيسة، التي سيهتم هذا البحث، بمحاولة تحليلها ودراستها. ولكن قبل ان نبدأ في الاجراءات العملية، لا بد من ان نوضح للقارئ الاسباب التي دعتنا إلى التشدد في طرح السؤالين السابقين دون سواهما، أي التركيز على هذه الجوانب في الاشكالية التي تطرحها الحركة القسّامية دون غيرها. أما جوابنا على ذلك، فلأننا نعتقد بأن هذه الجوانب كانت وما تزال، للأسف، من اكثر المسائل التي تم تشويهها وطمسها، في شخصية القسّام وحركته. وهو تشويه ارتكب بصورة متعمدة وشارك فيه اكثر من طرف. أما السبب الآخر الذي يدعونا إلى ان نطرح هذه المسائل دون غيرها، ونعتبرها المفاصل الرئيسة في هذا البحث، فلأننا نعتقد بأن الافكار تلعب دوراً رئيساً في صياغة أي حركة سياسية. ومن نافل القول ان هذا ينطبق، أيضاً، على الحركة السياسية التي قادها القسّام. وهو ما يترتب عليه، ان أي محاولة لفهم الدور الذي حاولت ان تقوم به الحركة القسّامية، لا بد وان يتناول الاطار الايديولوجي والفكري، الذي مارست من خلاله هذه الحركة دعوتها. وأقامت في اطاره مشروعها السياسي. هذه، على وجه العموم، الاسباب التي نراها مقنعة، لكي نختار لبحثنا هذا الموضوع الاشكالي دون سواه. ولكن ينبغي علينا ان نضيف، الى ما تقدم، دافعاً آخر، نريد ان نوضح بعض جوانبه قبل ان نختم هذا التمهيد. هذا الدافع مبني على الشعور بالملل من

شؤون فلسطينية، العدد ١٥٤ ـ ١٥٥، كانون الثاني/شباط (يناير/فبراير) ١٩٨٦